# Rimak International Journal of Humanities and Social Sciences

ISSN: 2717-8293

#### Oumar Checkh OUSMAN<sup>1</sup>

# THE NARRATIVE ART OF THE DESCRIPTION OF SULTANS AND KINGS AT IBN BATTUTA: DESCRIPTIVE ANALYTICAL STUDY

http://dx.doi.org/10.47832/2717-8293.4-3.7

#### **Research Article**

**Received:** 08/03/2021

**Accepted:** 21/03/2021

**Published:** 

01/05/2021

This article has been scanned by **iThenticat**No plagiarism detected

Copyright © Published by Rimak Journal, www.rimakjournal.com

Rimar Academy, Fatih, Istanbul, 34093 Turkey All rights reserved

#### **Abstract:**

The travel literature is the literature in which the author describes what happened to him during his travels, while providing an accurate description of peoples' customs and traditions that differ, from one people to another. The travels continued unabated during the times, until the appearance of the journey of the traveler's imam in the Arab world Ibn Battuta, the greatest Muslim traveler, as we know who is distinguished by his journey with a lot of knowledge it contains. It follows from this journey, the subject of this research, entitled "The narrative art of the description of sultans and kings at ibn Battuta: descriptive analytical study" This work aims to demonstrate the existence of the stories of sultans and kings in the journey of Ibn Battuta and to consider the book of the journey of ibn Battuta an important reference in the description of lifestyles, traditions, values and the arts of society, as well as a science that deals with the analysis and interpretation of the cultural situation of society. It is worth mentioning that Ibn Battuta's trip is one of the sources of historical science, which recounts the events he witnessed during the succession of sultans and wars, as he was very interested in the Description of the areas visited and having greatly contributed to the sciences of geography and cartography. Ibn Battuta's journey helped broaden the horizons of man and his acquaintances by attempting to paint a clear picture of the social and geographical reality and the most important scenes he has attempted to describe, as well as part of his autobiography by telling everything about him during his trip. Sometimes this cynical and light approach can be a treat for grief and psychological pain. The trip portrays an old image of history in which elements such as storytelling, dialogue, description, etc., combine pleasure and interest.

**Key words:** Narration, Description, Sultans, Kings, Ibn Battuta, Travel Literature.

<sup>&</sup>lt;sup>1</sup> Dr., Maroua University, Cameroon, oumarcheickh@yahoo.fr, https://orcid.org/0000-0002-7991-1880

# الفن القصصي في وصف السلاطين والأمراء عند ابن بطوطة: دراسة وصفية تحليلية

# عمر شيخ عثمان 2

# الملخص

أدب الرحلات هو الأدب الذي يُصورُ فيه الكاتب ما جرى له من أحداثٍ خلال سفره، مع تقديم وصفِ دقيق لعادات الشعوب والتقاليد التي تختلف من شعب لآخر. لم يزل تتوالى الرحلات عبر العصُور فتأتى رحلة إمام الرحالة في عالم العربي الإسلامي ابن بطوطة، وهو أعظم رحالة المسلمين الذي يتميز برحلته كما هو معلوم بمعرفة المزيد من المعلومات. ومن هذه الرحلة يشتق موضوع هذا البحث الذي جاء بعنوان " الفن القصصي في وصف السلاطين والأمراء عند ابن بطوطة: دراسة وصفية تحليلية. يهدف هذا العمل بيان وجود قصص السلاطين والأمراء في رحلة ابن بطوطة، واعتبار كتاب تحفة النظار مرجعًا مهمًّا في علم وصف أساليب الحياة والتقاليد والقيم والأدوات وفنون المجتمع، وعلم يهتم بتحليل وتفسير الحالة الثقافية للمجتمع بطريقة منهجية. وجدير بالذكر أن رحلة ابن بطوطة من مصادر العلوم التاريخية التي تحكى الأحداث التي عاصرها من تتابع السلاطين والحروب، كما اهتم كثير بوصف المناطق التي زاروها فساهموا بشكل كبير في علم الجغرافيا ورسم الخرائط. ولعب رحلة ابن بطوطة دورا في توسعة أفق الإنسان ومعارفه، حيث حاول في كتابه إعطاء صورة واضحة للواقع الاجتماعي والجغرافي وأهم المشاهد التي حاول تصويرها، كما يقدم جانبا من سيرته ذاتية وذلك من خلال سرد كل ما يتعلق به في رحلته. والرحالة يلجأ أحيان إلى طابع السخرية والفكاهة، وقد يصبح هذا الأسلوب الخفيف المرح الساخر علاجا للحزن والألم النفسي، حيث أدب الرحلة صورة قديمة للقصة بحيث توجد فيه عناصر أساسية مثل السرد، والحوار، والوصف وغيرها وهو يجمع بين المتعة والفائدة. الكلمات المفتاحية: قصة وصف، سلاطين، أمراء، ابن بطوطة، أدب الرحلات.

#### المقدمة:

يعد أدب الرحلات من الفنون الأدبية التي شاعت لدى العرب منذ القديم. والواقع أن هذا الفن موغل في القدم، عرفته قبل العرب أمم أخرى كالرومان. ثم جاء الرحالة العرب الذين جابوا الآفاق، واشتهر منهم كثيرون مشرقاً ومغرباً أمثال ابن بطوطة وابن جبير والإدريسي وغيرهم، إذ نقلوا إلينا ما كان يضطرب في العصور السابقة، وشاهدنا من خلال رحلاتهم مستوى الحضارة التي بلغتها الشعوب. وكان أدب الرحلات من بين الحقول الخصبة التي نبغ فيها العرب قديما، وهو ما تشهد عليه كتب الأدب الجغرافي والتاريخي ومدوناتهم؛ بحيث تسدي لنا خدمات معلوماتية ذات قيمة بالغة في مجالها. ولهذا تعد كتب الرحلات من أهم المصادر الجغرافية والتاريخية والاجتماعية؛ لأن الكاتب يستقي معلوماته وحقائقه من مشاهد حية، وتصوير مباشر، ما يجعل قراءته مفيدة وممتعة ومسلية في الوقت نفسه. ولذا نجد التاريخ قد حفل بأسماء الكثير من أعلام هذا الأدب ورواده، الذين قاموا برحلات متعددة، خارج ديارهم أو داخلها، وطافوا بأنحاء شتي من العالم. يعتبر كتاب تحفة النظار الذي ألفه ابن بطوطة من المؤلفات التاريخية والأدبية، ومن أهم مصادر تراث الرحلة التاريخية العالمية. وهي بالتالي التي استقصت بعض أخبار المؤرخين وما صنفوه، والكتاب في أدب الرحلات؛ حيث يضم طائفة هامة من المعلومات التاريخية وبعض النبذ الشعرية والأدبية التي لها صلة بموضوع المحل الذي يكون فيه، وقد ضم كتاب الرحلة ضمن موضوعاته الأخرى عروضا مهمة عن بعض المناظرات والمباحثات التي كانت بينه وبين السلاطين والأمراء والملوك والعلماء... خصوصا السلاطين والأمراء الذين كانوا محل دراستنا في هذا الكتاب. وكتاب "تحفة النظار" كتاب فني له أهميته البالغة لدى الباحثين والمهتمين بأدب الرحلات، فهو بذلك يحتاج إلى تعريف وإلى دراسة وتحقيق. ولأهمية هذا الكتاب القيم الذي يعد مصدرا لا يستغني عنه في مجال أدب الرحلة، وهو ما جزب اهتمام الباحث به وتم اختيار بحثه عليه. وقد جاء البحث بعنوان: "قصص السلاطين والأمراء عند ابن بطوطة: دراسة وصفية تحليلية". وسنتناول في هذه المقالة أولا التعريف بأدب الرحلات مع ذكر خصائصه، ثانيا النزعة القصصية في " تحفة

\_

<sup>2</sup> د. ، جامعة ماروا، كاميرون، oumarcheickh@yahoo.fr

النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار" حيث يذكر تعريف القصة، قبل أن نشرع بوصف ما فيها من أحوال السلاطين والأمراء بدءا بوصف الكون الإمران ثم وصف الحياة الاجتماعية والثقافية عند رحلة ابن بطوطة.

# التعريف بأدب الرحلات وخصائصه

لا شك أن تعريف أدب الرحلة سيكون صعبا، مثل تعريف أي جنس أدبي آخر، كالشعر والرواية، نظرا لتعدد مضامينها وأساليبها، ولتداخلها مع خطابات أخرى. وقد أشرت سابقا إلى هذا بتشبيه الرحلة بفناء بيت تنفتح فيه غرف متعددة: الجغرافيا والتاريخ، والتصوف، والأدب، والسيرة الذاتية، والتراجم، والحكايات، والرسائل، والكرامات، والشعر... وهذا كله يؤدي إلى "صعوبة القبض على تعريف يجمع في حده زخم الخصوصيات والتنويعات في النصوص الرحلية العربية. (شعيب حليفي، ط2، 2003م: 165)

ولعل هذه الصعوبة هي التي حدت ببعض معاجم المصطلحات إلى تجنب صياغة تعريف لهذا الجنس، فمعجم مصطلحات الأدب لم يعرض فيه صاحبه مجدي وهبة للرحلة بأي وجه من الوجوه، واكتفى فقط بإشارة للرحلة الخيالية. (مجدي وهبة، 1974م: 165)

أما جبور عبد النور، فقد عرفه بقوله: ‹‹ تمثل الرحلة في الأدب العربي منزلة رفيعة، وأصبحت من الفنون الشائعة في معظم بلدان العالم ››. (جبور عبد النور، ط2، 1984م: 121)

ثم يشير إلى أن الإثارة التي تتميز بها الرحلة: ‹‹ متأتية من الوصف الطريف للواقع، والسرد الفني للمغامرة الإنسانية، والعواطف المحركة للبشر، ونابعة أيضا من أنواع الشخصيات التي تبرزها للقارئ ››. (المرجع السابق: 122)

ونجد لأدب الرحلات تعريفا في قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية : عربي-إنكليزي- فرنسي؛ يقول هذا التعريف : ‹‹ أدب الرحلات هو نوع أدبي يقوم على وصف الأديب لما شاهده في رحلاته، من عمران، وأحداث، وأشخاص، وعادات، وتقاليد، وغيرها ››. ( إميل وآخرون، ط1، 1997م: 25)

والملاحظ على هذا التعريف أنه يخرج من الرحلات كثيرا من الكتابات التي لم يكتبها أدباء، ويكون الجانب الأدبي فيها باهتا إن لم يكن منعدما، ورغم ذلك تدرج هذه الكتابات ضمن الرحلات.

إن الحديث عن الرحلة يقتضي التفريق بين تعريفه لغة واصطلاحا: فأما تعريفه لغة، الرحلة حركة انتقال لشخص أو أشخاص من مكان إلى مكان آخر، وهذا هو المعنى اللغوي للكلمة؛ ففي معجم مقاييس اللغة لابن فارس: ‹‹ رحل: الراء والحاء واللام أصل واحد يدل على مُضي في سفر. يقال: رحل يرحل رحلة [...]. والرحلة: الارتحال [...]. ورَحَّله، إذا أَظْعَنَه من مكانه ››1 وعند ابن منظور: ‹‹ رحل الرجل؛ إذا سار، ورجل رَحول، وقوم رُحّل؛ أي يرتحلون كثيرا. ورجل رحَّال: عالم بذلك ومجيد له [...] والترحل والارتحال: الانتقال. والرّحلة: اسم للارتحال. وقال بعضهم: ‹‹ الرّحلة: الارتحال، والرّحلة بالضم: الوجه الذي تأخذ فيه وتريده ›› 2.

وفي القاموس المحيط للفيروز آبادي: ‹‹ ارتحل البعير: سار ومضى، والقوم عن المكان: انتقلوا، كتَرَحَّلُوا. والاسم: الرِّحلة والرُّحلة بالضم والكسر، أو بالكسر: الارتحال، وبالضم : الوجه الذي تقصد، والسفرة الواحدة ››3.

وتكاد المعاجم الأخرى تكرر المعاني نفسها، وبهذا المعنى أشار القرآن الكريم إلى رحليَّ الشتاء والصيف اللتين كانت قريش تقوم بهما من أجل التجارة : ‹‹ لإيلافِ قريش إيلافِهم رحلةَ الشتاءِ والصيف ››4.

إذًا، فمعاجم اللغة تجمع على أن الرحلة هي انتقال من مكان إلى آخر. وبهذا المعنى يكون العديد من السوسيين والمغاربة وغيرهم من البشر، قديما وحديثا، قد أنجزوا رحلات ورحلات لا تعد ولا تحصى، لأن الحركة والتنقل من مقتضيات الحياة، وطبيعة البشر، ولأن ‹‹ الثواء هو الثوى ››5. بيد أننا لا نعرف أي شيء عن كل تلك الرحلات، لأنه ليس كل من ارتحل قد دوّن رحلته.

# وهذا المعنى الأول لا يهمنا إلا بالقدر الذي يتأسس عليه المعنى الثاني.

وأما تعريفه، الرحلة كتابة يحكي فيها الرحالة أحداث سفره وما شاهده، وعاشه من أحداث، مازجا ذلك بانطباعاته الذاتية حول المرتحل إليهم.

إن التعريف بأدب الرحلات اصطلاحيا لا يتم إلا بالمرور على تعريف الرحلة. فأما الرحلة فهي مشتقة من الارتحال وهي تعني الانتقال من مكان لآخر؛ لتحقيق هدف معين، ماديا كان ذلك الهدف أو معنويا. والرحلة متصلة بتاريخ الإنسان منذ أقدم العصور. فأول رحلة قام بها الإنسان هي رحلة من بساتين الجنة إلى سطح الأرض. ومنذ ذلك التاريخ السحيق لم تتوقف رحلات البشر. الرحلة متصلة بتاريخ الإنسان منذ أقدم العصور. لم يتوقف الإنسان في مكان واحد حتى الآن مع أن له في هذه الأيام جميع التسهيلات في بيته. وذلك لأنه يريد أن يعرف ما حوله من الأشياء المتنوعة والأمكنة المختلفة ويشاهدها مباشرا بعينيه ويسمع من الناس أخبارهم وأحوالهم بأذنيه. إن الحياة من البداية حتى النهاية لرحلة والكل فيها عابرون. فالإنسان يرتحل من رحم الأم إلى هذه الدنيا ثم من مرحلة الطفولة إلى الشيخوخة ومن الدنيا إلى الآخرة وهكذا

من مكان إلى مكان آخر. لا يمكن الانفصال بين الرحلة والحياة، حاجة الإنسان إلى الرحلة واضحة لا تخفى على أحد منا. فإن الماء الراكد يأسن ولو بقيت الشمس واقفة في الأفق لملت. ذكر الإمام الشافعي ضرورة الرحلة فقال:

سافر تجد عوضا عمن تفارقه انصب فإن لذيذ العيش في النصب إني رأيت وقوف الماء يفسده إن سال طاب وإن لم يجر لم يطب والشمس لو وقفت في الفلك دائمة لملها الناس من عجم ومن عرب

(الشافعي، ط3، 1996م: 53)

مما لا شك فيه أن الوقوف عند تعريف جامع و شامل لأدب الرحلة أمر يؤدي إلى ما يفسر تعدد التعاريف التي صاغها الباحثون والمهتمون بهذا المجال؛ يقول شعيب حلفي: ‹‹ وتأتي صعوبة تحديد وصياغة مفهوم للرحلة من عدّة اعتبارات أساسية منها: غياب تعاريف دقيقة، وجود نصوص رحلية كثيرة ثريّة ومتنوعة، وانفتاح النصّ الرحلي على عناصر أخرى متحركة تحضر أو تختفي بدرجات متفاوتة بين النصوص ››، بيد أنه لا بأس من الوقوف عند بعض التعاريف عسى أن نخلص إلى تعريف شامل ودقيق. (حليفي، 2002م:81)

جاء في معجم المصطلحات الأدبية لمجدي وهبة: ‹‹ أدب الرحلة: مجموعة الآثار الأدبية التي تتناول انطباعات المؤلف عن رحلاته في بلاد مختلفة، وقد يتعرض فيها لوصف ما يراه من عادات وسلوك وأخلاق، ولتسجيل دقيق للمناظر الطبيعية التي يشاهدها، أو يسرد مراحل رحلته مرحلة مرحلة، أو يجمع بين كل هذا في آن واحد ››. (مجدي، 1974م: 160)

أما انجل بطرس(Angel podros) فقد عرف أدب الرحلات ب: ‹‹ ما يمكن أن يوصف بأدب الرحلة الواقعية، وهي الرحلة التي يقوم بها رحالة إلى بلد من بلدان العالم، ويدوّن وصفا له، يسجل فيه مشاهداته، وانطباعاته بدرجة من الدقة والصدق وجمال الأسلوب والقدرة على التعبير ››. ( إنجيل، 1975: 52)

وعند ناصر الموافي نقف عند هذا التعريف: ‹‹ ذلك النثر الذي يصف رحلة . أو رحلات . واقعية، قام بها رحال متميز، موازنا بين الذات والموضوع، من خلال مضمون وشكل مرنين، بهدف التواصل مع القارئ والتأثير فيه ››. (ناصر عبد الرزاق، ط1، 1995م:41)

وهذا التعريف أكثر دقة من التعاريف السابقة؛ إذ يجنس أدب الرحلة ضمن فن النثر ويؤكد على ضرورة موازنة الرحالة بين الذات والموضوع.

وفي الأخير نخلص إلى أن أدب الرحلة هو خطاب فني نثري تنشئه ذات مركزية تحكي فيه أحداث رحلتها الواقعية، موازنة بين الذات والموضوع، من خلال شكل ومضمون مرنين، هدفها إفادة القارئ وامتاعه.

# النزعة القصصية في " تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار "

وجود النزعة القصصية في أدب الرحلة أمر طبيعي لأن الرحلة في حد ذاتها قصة أو مجموعة من القصص يحكيها الرحالة في مذكرة سفره، إن لم تتوافر فيها بعض الخصائص الفنية التي يشترط عليها علماء الفن في القصة. والعناصر الفنية التي يتحدث عنها الأدباء في بناء القصص يشتمل فيما يأتي: الفكرة والسرد والشخصية والزمان والمكان والحبكة القصصية والحوار. فإن "أدب الرحلة فن يقترب من فن القصة، إن بعض الرحالين جنحوا إلى سرد "القصص التي عاشوها أو سمعوا بها، وكان سردهم لهذه القصص بعفوية وحيوية، قربت الرحلة من عالم القصة". (الشافعي، ط3، 1996م: 53) فكل من يبحث عن النزعة القصصية في أدب الرحلة، يضطر به أن يلم قبل كل شيء بتعريف القصة مع كل ما يتفرع منها من العناصر والخصائص والمبادئ التي تتكون عليها. هذا الذي سيقوم به الباحث في المبحث التالي

#### التعريف بالقصة لغة واصطلاحا

#### القصة لغة:

قص أثره: يقصه قصا وقصيصاً ... كما جاء في اللسان والصحاح وفي التهذيب :القص اتباع الأثر ويقال خرج فلان في إثر فلان وقصا وذلك إذا اقتص إثره. (الزبيدي، 1965م: 432)

معنى القَصَصُ القَّصُ: تتبع الأثر، يقال: قصصت أثره: أي تتبعته، والقَصَصُ مصدر، والقَصص ( بالفتح ): الخبر المقصوص، والقِصص بكسر القاف: جمع القصة. (الزبيدي، 1989م: 433)

قال تعالى: ﴿ فَارْنَدًا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصا ﴾ [ الكهف: 46 ] ، أي رَجعا يقصان الأثر الذي جاءا به. وقال على لسان أم موسى : ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ ﴾ [ القصص: 11 ] ، أي تتبعي أثره حتى تنظري من يأخذه . والقصص كذلك : الأخبار المتتبعة ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُ ﴾ [ آل عمران : 62 ] . وقال: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الأَلْبَابِ ﴾. [ يوسف: 111 ]

والقصة: الأمر والخبر، والشأن والحال. (ابن منظور، 1988م: 74)

# القصة في الاصطلاح

عرفها بعضهم بأنها: فن أدبي قائم بذاته وهي حكاية نثرية تستمد من الخيال أو الواقع أو منهما معا، وتبنى على قواعد معينة من الفن الكتابي، وتعني " سرد جزء من ماض شخصي سردت منتظما أو غير منتظم لسلوك فرد أو جماعة من البشر في عالم الخيال أو الحقيقة والواقع".(محمد يوسف، دت: 9)

وذكرت الدكتورة نبيلة إبراهيم أنها: " تحليل وتفسير لسلسة من الأحداث تتلق بشخصيات إنسانية مختلفة تتباين أساليب عيشها وتصرفها في الحياة بغرض تسلية القارئ والترويح عنه، وتزويده بحصيلة من المعرفة والثقافة تتخللها جوانب متعددة من الأحداث التي تستند في بناءها على جوانب مختلفة من الأسطورة والواقع والعاطفة والدين، ويكون لها نصيبها من حيث التأثير والتأثر". (نبيلة إبراهيم، دت: 34)

القصة هي «الفن الذي نعرفه اليوم بهذا الاسم بين الأجناس الأدبية قد أطلقها العرب على عدّة أشياء وأطلقوا أسماء هذه الأشياء عليها وهي الحديث والخبر والسمر والخرافة. (عزيزة، 1980م: 17)

هذا ما يتعلق بتعريف القصة من ناحية اللغة والاصطلاح. ثم ننتقل إلى جانب الوصف وما يتعلق به من تعريف ووظائف وحدود علاقته بالسرد، قبل أن نقف عند وصف السلاطين والأمراء في رحلة ابن بطوطة.

#### الوصف عند رجلة ابن بطوطة

عالجتْ الدراسة فنية الوصف في أدب الرحلة واعتمدتْ رحلة ابن بطوطة نموذجا؛ برع ابن بطوطة في وصف الرحلة وبلغ درجة عالية لم تسبق إليه. ومن هذا الوصف ظهرت شهرة ابن بطوطة في مجال أدب الرحلة. فقبل تعرض الوصف ما في تحفة النظار، سنتناول مفهوم الوصف ووظائفه وحدود علاقته بالسرد6 مع عرض أنواع الوصف وتطوره عبر العصور.

## مفهوم الوصف ووظائفه وحدود علاقته بالسرد

الوصف في اللغة هو:" وصَف الشيءَ له وعليه وصْفاً وصِفة عَكلاًه ، والهاء عوض من الواو ، وقيل : الوصْف المصدر والصِّفة الحِلْية ، الليث : الوصف وصفك الشيء بحِلْيته ونَعْته?" . والوصف في الاصطلاح جزء من منطق الإنسان لأن النّفس محتاجة من أصل الفطر إلى ما يكشف لها من الموجودات ويكشف للموجودات منها، ولا يكون ذلك إلا بتمثيل الحقيقة وتأديتها إلى التصوّر في الطريق السمع والبصر والفؤاد. (الرافعي، 1974م: 119)

أشار أحمد الهاشمي في كتابه عن الوصف" الوصف، هو شرح حال الشّيء وهيئته على ما هو عليه في الواقع لإحضاره في ذهن السامع كأنه يراه أو يشعر به". (أحمد الهاشمي، 1923م: 343)

أيضا يقول: «الوصف عبارة من بيان الأمر باستيعاب أحواله وضروب نعوته الممثلة له وأصوله ثلاثة :الأول أن يكون الوصف حقيقيا بالموصوف مفرزاً له عمّا سواه، الثاني: أن يكون ذا طلاوة ورونق. الثالث: ألا يخرج فيه إلى حدود المبالغة والإسهاب ويكتفي بما كان مناسباً للحال وأنواعه كثيرة ولكنها ترجع إلى قسمين وهما وصف الأشياء ووصف الأشخاص أمّا الأشياء الحربة بالوصف فهي كالأمكنة والحوادث ومناظر الطبيعة. أمّا وصف الأشخاص فيكون بوصف الصّورة أو بوصفهما معا. (المرجع نفسه: 265)

بما يخص هذه النقطة، اكتفينا بقولي أحمد الهاشمي عن تعريف الوصف حيث عرفه تعريفا شاملا لأصوله الثلاثة التي سبق ذكرها. وكيّف حال الموصف حين وصفه بعرض أحوال الأشياء وهيئته عليها في الواقع حتى تجعل في ذهن القارئ أو السامع كأنه حاضر حينئذ.

اتجه الوصف في ذاك العصر إلى نهج الذي سلكه ابن بطوطة في رحلاته موصفا مظاهر كونية وثقافية. فنجدهم يصفون الطبيعة في الحاضرة ببساتينها ورياحينها، وقد أخذ يخص هذه الطبيعة بإنتاجات كثيرة حيث أصبحت موضوعا جديدا واسعا، وهم يعنون بوصف مظاهر الحضارة العباسية المادية وما يتصل بها من الترف في الطعام والتأنق في الملابس والثياب ووصف القصور وما حولها من البساتين وما يجري فيها من الظباء والغزلان. وأكثروا من وصف الحيوان والطير والحشرات، واشتهر بذلك خلف الأحمر وجهم بن خلف وفي كتاب الحيوان للجاحظ من ذلك مادة وافرة. وفي ذاك العصر العباسي، تحول الوصف عن البداوة والصحراء إلى وصف مظاهر الحضارة، كالرياض وبرك الماء، وموائد وصنوف الطعام والشراب المستحدثة، والملابس والقصور. (قناوي عبد العظيم، 1929م: 43-43) والرحالة في هذا المجال بعد أن كان شاهد ببصره في الكون والحياة البشرية مدى رحلته، أصبح بعد التنوع الذي رأى في المجتمعات، والعجائب التي شاهد في الكون، يصفها بالجمال والأسلوب. ومن الموضوعات التي دار حولها الوصف عند رحلة ابن بطوطة: وصف الحياة الاجتماعية والثقافية، ووصف الحياة السياسية وأحوال السلاطين والإمارات، عند رحلة ابن بطوطة: وصف الحياة الاختراف به فيما يلى.

# وصف الكون والعمران في رحلة ابن بطوطة

وصف الكون والعمران في كتاب تحفة النظار لابن بطوطة، عبارة عن سرد ما شاهدها الرحالة من الأنهار والجبال والبحار والبحار والحصون والصحاري، ثم المدن والقرى سردا فنيا تابعا لأسلوب السرد القصصي. وصف ابن بطوطة الكون والعمران من تونس إلى الصين ذهابا وإيابا مرورا بمعظم بلدان العالم. مع ذلك اخترنا بعض البلدان الكبرى التي زارها ابن بطوطة وما فيها من وصف الكون والعمران. منها مصر مع مدينة الإسكندرية وجزيرة العرب (القدس ودمشق وطيبة مدينة المنورة ومكة المكرمة وبصرة وكوفة وبغداد) والهند مع دلهي والصين.

ولم يزل ابن بطوطة يصف العمران في الصين حيث وصف الجزائر زيب المهمل التي تعد عجبا من عجائب الدنيا موصفا بمبانيها. قيل هي ألفي جزيرة، ثم وصف باب مدخلها وترتيب وضع البناء مع التركيب في استواءها الكامل الذي يظهر عليها جمال تلك الجزائر، وهيبتها وتمكينها.

و بعد هذه الجولة الممتعة، قد حصلنا على ذكر عدة لمحات الكونية التي وصفها ابن بطوطة. ونضيف على ذلك بما يخص أرض الصين، ذكر الياقوت وجبل سرنديب واللبان والكافور والعود الهندي وشجرة قرنفل موصفا لها.

# وصف الحياة الاجتماعية والثقافية في رحلة ابن بطوطة

إن مظاهر الحياة الاجتماعية والثقافية شائعة وكثيرة فيما وصفه الرحالة في جميع البلاد التي مر بها ابن بطوطة وزارها. قد عايش هذه الجوانب بمكثه في تلك البلاد. ولا بد أنه شاهد ظواهر متنوعة من المجتمعات والثقافات عدة حيث اختلط بالشعوب المتعددة وحضارات متقاربة الأصول ومتفرقة الفروع، أثرت وتأثرت بعضها ببعض. ونتجت من ذلك خصائص تميز كل مدينة عن أخرى. وتبرز تلك الظاهر في العادات والأسواق والمباني من المساجد والمدارس وما يتعلق بالأنشطة الاجتماعية كالزواج والأعياد والمنتجات الصناعية التي سنفصل القول عن وصفها مبتدئا بوصف مسجد عمرو بن العاص والمدارس والمارستانات والزوايا.

# وصف الحياة السياسية وأحوال السلاطين والأمراء في رحلة ابن بطوطة

الوصف لحياة السياسية وأحوال السلاطين والإمارات في رحلة ابن بطوطة أكثر وأوسع جانب من جوانب أخرى التي مضى ذكرها، حيث اعتمد الرحالة على زيارة المشهورين للبلاد والمدن التي مر بها طول سفره كالملوك والأئمة والشيوخ والأولياء والعلماء والوزراء والسلاطين والأمراء. بناء على ذلك سنتناول وصف المظاهر السياسية وما يتعلق بالسلاطين والإمارات بدء بسلطان تونس.

#### سلطان تونس

بين ابن بطوطة بأن سلطان تونس ذو النسب والحسب والنظام العالي حيث قال: «وكان سلطان تونس عند دخولي اليها السلطان أبا يحيى ابن السلطان أبي زكريا يحيى ابن السلطان أبي إسحاق إبراهيم ابن السلطان أبي زكريا يحيى بن عبد الله العباس أحمد بن محمد الأنصاري الخزرجي البلنسي الأصل، ثم التونسي هو ابن الغماز، ومنهم الخطيب أبو إسحاق إبراهيم بن حسين بن علي بن عبد الرفيع، وولي أيضا قضاء الجماعة في خمس دول، ومنهم الفقيه أبو علي عمر بن علي بن قداح الهواري، وولي أيضا قضاءها وكان من أعلام العلماء» . ومن عوائده أنه: «يستند كل يوم جمعة بعد صلاتها إلى بعض أساطين الجامع الأعظم المعروف بجامع الزيتونة، ويستفتيه الناس في المسائل. فإذا أفتى في أربعين مسألة انصرف عن مجلسه ذلك، وأظلني بتونس عيد الفطر، فحضرت المصلى، وقد احتفل الناس لشهود عيدهم، وبرزوا في أجمل هيئة وأكمل شارة». (ابن بطوطة،1987م: 36)

#### سلطان مصر

كان لسلطان مصر شأن عظيم ومنصب رفيع ونظام قوي حيث وصفه ابن بطوطة: «وكان سلطان مصر على عهد دخولي إليها الملك الناصر أبا الفتح محمد بن المنصور سيف الدين قلاوون الصالحي. وكان قلاوون يعرف بالألفي لأن الملك الصالح اشتراه بألف دينار ذهبا وأصله من قفجق. وللملك الناصر رحمه الله السيرة الكريمة والفضائل العظيمة. وكفاه شرفا انتماؤه لخدمة الحرمين الشريفين، وما يفعله في كل سنة من أفعال البر التي تعين الحجاج من الجمال التي تحمل الزاد والماء للمنقطعين والضعفاء، وتحمل من تأخر أو ضعف عن المشي في الدريين المصري والشاعي. وبني زاوية عظيمة بسرياقص خارج القاهرة. لكن الزاوية التي بناها مولانا أمير المؤمنين وناصر الدين وكهف الفقراء والمساكين، غليفة الله في أرضه القائم من الجهاد بنفله وفرضه أبو عنان أيد الله أمره، وأظهره، وسني له الفتح المبين ويسره، بخارج حضرته العلية المدينة البيضاء حرسها الله لا نظير لها في المعمور، في إتقان الوضع وحسن البناء والنقش في الجص، بحيث لا يقدر أهل المشرق على مثله. وسيأتي ذكر ما عمره أيده الله من المدارس والمرستان والزوايا ببلاده حرسها الله وحفظها بدوام ملكه» . (المرجع السابق: 71)

# بعض أمراء مصر

زيادة على ذكر السلاطين وصف ابن بطوطة الأمراء وصفا مفصلا حيث قال في بعض عباراته: «منهم ساقي الملك الناصر، وهو الأمير بكتمور وضبط اسمها بضم الباء الموحدة وكاف مسكن وتاء معلوة مضمومة وآخره راء، وهو الذي قتله الملك الناصر بالسم، وسيذكر ذلك، ومنهم نائب الملك الناصر أرغون الدودار، وهو الذي يلي بكتمور في المنزلة، وضبط اسمه بفتح الهمزة وإسكان الراء وضم الغين المعجمة، ومنهم طشط المعروف بحمص أخضر، واسمه بطاءين مهملين مضمومين وبينهما شين معجم. وكان من خيار الأمراء. وله الصدقات الكثيرة على الأيتام من كسوة ونفقة وأجرة لمن يعلمهم القرآن. وله الإحسان العظيم للحرافيش، وهم طائفة كبيرة أهل صلابة وجاه ودعارة. وسجنه الملك لمن يعلمهم القرآن. وله الإحسان العظيم للحرافيش، وهم طائفة كبيرة أهل صلابة وجاه ودعارة. وسجنه الملك الناصر مرة، فاجتمع من الحرافيش آلاف، ووقفوا بأسفل القلعة، ونادوا بلسان واحد يا أعرج النحس، يعنون الملك الناصر، أخرجه فأخرجه من محبسه، وسجنه مرة أخرى. ففعل الأيتام مثل ذلك فأطلقه». ومنهم: «وزير الملك الناصر يعرف بالجمالي بفتح الجيم. ومنهم بدر الدين بن البابه. ومنهم جمال الدين نائب الكرك. ومنهم تقزدمور واسمه بضم التاء الموحدة وضم الدال المهملة وآخره راء. ومنهم قوصون واسمه بفتح القاف وصاد مهمل الحجازي واسمه بفتح والباء الموحدة واسكان الشين المعجم وتاء معلوة مفتوحة. وكل هؤلاء يتنافسون في مضموم ومنهم بشتك واسمه بفتح الباء الموحدة واسكان الشين المعجم وتاء معلوة مفتوحة. وكل هؤلاء يتنافسون في الفعال الخيرات وبناء المساجد والزوايا .ومنهم ناظر جيش الملك الناصر، وكاتبه فخر الدين القبطي، وكان نصرانيا من القبط، فأسلم وحسن إسلامه، وله المكارم العظيمة والفضائل التامة ودرجته من أعلى الدرجات عند الملك الناصر، وله الصدقات الكثيرة والإحسان الجزيل». (المرجع السابق: 26)

وأشار الرحالة إلى بيان عادته قائلا: «ومن عادته أن يجلس عشي النهار في مجلس له بأسطوان داره على النيل ويليه المسجد، فإذا حضر المغرب صلى في المسجد وعاد إلى مجلسه وأوتي بالطعام. ولا يمنع حينئذ أحد من الدخول كائنا من كان. فمن كان ذا حاجة تكلم فيها فقضاها له ومن كان طالب صدقة أمر مملوكا له يدعى بدر الدين، واسمه لؤلؤ، يصحبه إلى خارج الدار، وهنالك خازنه معه صرر الدراهم فيعطيه ما قدر له. ويحضر عنده في ذلك الوقت الفقهاء ويقرأ بين يديه كتاب البخاري، فإذا صلى العشاء الأخيرة انصرف الناس عنه» . (المرجع السابق: 63)

#### أمير المدينة الشربفة

ولمدينة الشريفة أمير شجاع ولشدة غلظه وصف بأنه: «كان أمير المدينة كبيش بن منصور بن جماز. وكان قد قتل عمه مقبلا. ويقال :إنه توضأ بدمه. ثم إن كبيشا خرج سنة سبع وعشرين إلى الفلاة في شدة الحر ومعه أصحابه، فأدركتهم القائلة في بعض الأيام، فتفرقوا تحت ظلال الأشجار فما راعهم إلا وأبناء مقبل في جماعة من عبيدهم ينادون: يا لثارات مقبل، فقتلوا كبيش بن منصور صبرا، ولعقوا دمه. وتولى بعده أخوه طفيل بن منصور، الذي ذكرنا أنه نفى أبا العباس الفاسى » . (المرجع السابق: 138)

# ذكر أميري مكة

تولى مكة المكرمة زمن قدوم الرحالة منها أميرين عادلين شريفين قال في وصفهما: «وكانت إمارة مكة في عهد دخولي إليها للشريفين الأجلين الأخوين: أسد الدين رميثة وسيف الدين عطيفة أبني الأمير أبي نمي بن أبي سعد بن علي بن قتادة الحسنيين. ورميثة أكبرهما سنا، ولكنه كان يقدم اسم عطيفة في الدعاء له بمكة، لعدله ولرميثة من الأولاد أحمد وعجلان، وهو أمير مكة في هذا العهد، وتقيه وسند وأم قاسم. ولعطيفة من الأولاد محمد ومبارك ومسعود. ودار عطيفة عن يمين المروة، ودار أخيه رميثة برباط الشرابي عند باب بني شيبة، وتضرب الطبول على باب كل واحد منهما عند صلاة المغرب من كل يوم». (المرجع السابق: 171)

# سلطان شيراز

باشر صاحب الرحلة سلطان بأرض الهند في شيراز مدة فوجده صالحا عادلا ذا مواصفة حميدة وأخلاق نقية. وسرد وصفه في رحلته بما يلي: «وسلطان شيراز في عهد قدومي عليها الملك الفاضل أبو إسحاق بن محمد شاه ينجو سماه أبوه باسم الشيخ أبي إسحاق الكازروني نفع الله به. وهو من خيار السلاطين، حسن الصورة والسيرة والهيئة، كريم النفس جميل الأخلاق متواضع، صاحب قوة وملك كبير. وعسكره ينيف على خمسين ألفا من الترك والأعاجم، وبطانته الادنون إليه أهل أصفهان. وهو لا يأتمن أهل شيراز على نفسه، ولا يستخدمهم ولا يقربهم ولا يبيح لأحد منهم حمل السلاح، لأنهم أهل نجدة وبأس شديد وجرأة على الملوك. ومن وجد بيده السلاح منهم عوقب». وذكر موقفا شاهده في حينه قائلا: «ولقد شاهدت رجلا مرة تجره الجنادرة، وهم الشرط إلى الحاكم، وقد ربطوه في عنقه. فسألت عن شأنه، فأخبرت أنه وجدت في يده قوس بالليل. فذهب السلطان المذكور إلى قهر أهل شيراز وتفضيل الأصفهانيين عليهم، لأنه يخافهم على نفسه. وكان أبوه محمد شاه ينجو واليا على شيراز من قبل ملك العراق، وكان حسن السيرة محببا إلى أهلها. فلما توفي ولى السلطان أبو سعيد مكانه الشيخ حسينا، وهو ابن الجوبان أمير الأمراء، وسيأتي ذكره، محببا إلى أهلها. فلما توفي ولى السلطان أبو سعيد مكانه الشيخ حسينا، وهو ابن الجوبان أمير الأمراء، وسيأتي ذكره، محببا إلى أهلها. فلما توفي ولى السلطان أبو سعيد مكانه الشيخ حسينا، وهو ابن الجوبان أمير الأمراء، وسيأتي ذكره،

وبعث معه العساكر الكثيرة، فوصل إلى شيراز وملكها وضبط مجابيها. وهي من أعظم بلاد الله مجبى » . (المرجع السابق: 217)

## سلطان العراقين وخراسان

ذكر وصف سلطان أرض العراقين وخراسان المسلم الجليل بقوله: «هو السلطان الجليل أبو سعيد بهادرخان، وخان عندهم الملك وبهادر بفتح الباء الموحدة وضم الدال المهمل وآخره راء، ابن السلطان الجليل محمد خذابنده، وهو الذي أسلم من ملوك التر. فلما ولد هذا السلطان كان أول داخل الزمال، وهم يسمونه خربندة فسمي به. ولما مات ولي الملك ولده أبو سعيد بهادرخان، وكان ملكا فاضلا كريما ملك وهو صغير السن، ورأيته ببغداد، وهو شامل أجمل خلق الله صورة، لا نبات بعارضيه ووزيره إذ ذاك الأمير غياث الدين محمد بن خواجه رشيد، وكان أبوه من مهاجرة اليهود، واستوزره السلطان محمد خذابنده والد أبي سعيد. ورأيت من مكارمه في ذلك اليوم أنه تعرض له جماعة من العميان فشكوا ضعف حالهم، فأمر لكل واحد منهم بكسوة وغلام يقوده ونفقة تجري عليه، ولما ولي السلطان أبو سعيد وهو صغير كما ذكرناه، استولى على أمره أمير الأمراء الجوبان، وحجر عليه التصرفات، حتى لم يكن بيده من الملك إلا السم». (المرجع السابق: 236)

# أمير ملتان

إن في ذكر أمير ملتان وسياسته في إمارته عند رحلة ابن بطوطة لكفاية بما سجله صاحب الرحلة ودونه في مخلدات ذكرياته. قال عنه في تحفة النظار: «وأمير ملتان هو قطب الملك من كبار الأمراء وفضلائهم. وكان جلوس هذا الأمير على دكانة كبيرة عليها البسط، وعلى مقربة منه القاضي، ويسمى سالارو، والخطيب ولا أذكر اسمه، وعن يمينه ويساره أمراء الأجناد، وأهل السلاح وقوف على رأسه، والعساكر تعرض بين يديه. وهناك قسي كثيرة. فإذا أتى من يريد أن يثبت في العسكر راميا أعطي قوسا من تلك القسي ينزع فيها، وهي متفاوتة في الشدة. فعلى قدر نزعه يكون مرتبه. ومن أراد أن يثبت فارسا، فهنالك طبلة منصوبة، فيجري فرسه ويرميها برمحه». وبين في صورة تجنيد الرماة وتنظم جيشه بقوله: «وهناك أيضا خاتم معلق في حائط صغير، فيجري فرسه حتى يحاذيه. فإن رفعه برمحه فهو الجيد عندهم، ومن أراد من يثبت راميا فارسا فهنالك كرة موضوعة في الأرض، فيجري فرسه ويرميها، وعلى قدر ما يظهر من الإنسان في ذلك من الإصابة يكون مرتبه. ولما دخلنا على هذا الأمير وسلمنا عليه، كما ذكرناه، أمر بإنزالنا في دار خارج المدينة، هي لأصحاب الشيخ العابد ركن الدين الذي تقدم ذكره، وعادتهم أن لا يضيفوا أحدا حتى يأتي أمر السلطان». (المرجع السابق: 415)

# السلطان شمس الدين للمش

ومن الملوك الذين حظوا بإعجاب الحالة من سلاطين بمدن بلاد الهند سلطان مدنية دهلي الذي قال في بيان وصفة: «وضبط اسمه بفتح اللام الأولى وسكون الثانية وكسر الميم وشين معجم، وهو أول من ولي الملك بمدينة دهلي مستقلا به وكان قبل تملكه مملوكا للأمير قطب الدين أيبك وصاحب عسكره نائبا عنه، فلما مات قطب الدين استبد بالملك، وأخذ الناس بالبيعة. فأتاه الفقهاء يقدمهم قاضي القضاة إذ ذاك وجيه الدين الكاساني، فدخلوا عليه وقعد بين يديه، وقعد القاضي إلى جانبه على العادة وفهم السلطان عنهم ما أرادوا أن يكلموه به، فرفع طرف البساط الذي هو قاعد عليه، وأخرج لهم عقدا يتضمن عتقه. فقرأه القاضي والفقهاء، وبايعوه جميعا. واستقل بالملك، وكانت مدته عشرين سنة». وسرد صفاته الجلية والمحمودة التي حمت الضعيف من القوي وتحكمت للمظلوم عن الظالم متابعا: وكان عادلا صالحا فاضلا، ومن مآثره أنه اشتد في رد المظالم وإنصاف المظلومين وأمر أن يلبس كل مظلوم ثوبا مصبوغا وأهل الهند جميعا يلبسون البياض فكان متى قعد للناس أو ركب فرأى أحدا عليه ثوب مصبوغ نظر في قضيته وأنصفه ممن ظلمه ثم أنه أعيا في ذلك فقال: إن بعض الناس تجري عليهم المظالم بالليل، وأريد تعجيل إنصافهم، فجعل على باب قصره أسدين مصورين من الرخام موضوعين على برجين هنالك، وفي أعناقهما سلسلتان من الحديد فيهما جرس كبير، فكان المظلوم يأتي ليلا فيحرك الجرس، فيسمعه السلطان وينظر في أمره للحين وينصفه. ولما توفي فيهما جرس كبير، فكان المظلوم يأتي ليلا فيحرك الجرس، فيسمعه السلطان وينظر في أمره للحين وينصفه. ولما توفي السلطان شمس الدين خلف من الأولاد الذكور ثلاثة وهم ركن الدين الوالي بعده، ومعز الدين، وناصر مضوعة تسمى رضية وهي شقيقة معز الدين منهم فتولى بعده ركن الدين كما ذكرناه » . (المرجع السابق: 433)

#### السلطان ركن الدين

كما مر بسلاطين عادلين مر أيضا بجبابرة منهم، كسلطان ركن الدين الذي اعتدى حتى قتل أخاه لأجل الملك. فوصفه وذاك المشهد الرحال بقوله: «ولما بويع ركن الدين بعد موت أبيه افتتح أمره بالتعدي على أخيه معز الدين فقتله وكانت رضية شقيقته، فأنكرت ذلك عليه، فأراد قتلها. فلما كان في بعض أيام الجمع خرج ركن الدين إلى الصلاة. فصعدت رضية على سطح القصر القديم المجاور للجامع الأعظم، وهو يسمى دولة خانة، ولبست عليها ثياب المظلومين، وتعرضت للناس، وكلمتهم من أعلى السطح، وقالت لهم: إن أخي قتل أخاه، وهو يريد قتلي معه. وذكرتهم أيام أبيها وفعله الخير وإحسانه إليهم فثاروا عند ذلك إلى السلطان ركن الدين وهو في مسجد فقبضوا عليه وأتوا به إليها

فقالت لهم: القاتل يقتل فقتلوه قصاصا بأخيه وكان آخرهما ناصر الدين صغيرا فاتفق الناس على تولية رضية » . (المرجع السابق: 434)

# السلطانة رضية

قد امتازت سلطانة من بين السلاطين حيث تمكن المرأة بحمل مهمة عظيمة من قيادة الناس وتحكم بسياسة لا تقل عن الرجال. فسجل صاحب الرحلة من بينهن سلطانة رضية التي لا تشق عنها الغبار في ناحية السياسية، قال ابن بطوطة يصفها: «ولما قتل ركن الدين اجتمعت العساكر على تولية أخته رضية الملك، فولوها. واستقلت بالملك أربع سنين وكانت تركب بالقوس والتركش والقربان، كما يركب الرجال ولا تستر وجهها، ثم إنها اتهمت بعبد لها من الحبشة فاتفق الناس على خلعها وتزويجها، فخلعت وزوجت من بعض أقاربها وولي الملك أخوها ناصر الدين». (المرجع السابق: 435)

#### السلطان ناصر الدين ابن السلطان شمس الدين

ثم منهم السلطان ناصر الدين الذي قيل عنه: « ولما خلعت رضية ولي ناصر الدين أخوها الأصغر، واستقل بالملك مدة. واستقل ناصر الدين بالملك بعدها، واستقام له الأمر عشرين سنة وكان ملكا صالحا ينسخ نسخا من الكتاب العزيز ويبيعها فيقتات بثمنها. وقد وقفني القاضي كمال الدين على مصحف بخطه متقن محكم الكتابة، ثم إن نائبه غياث الدين بلبن قتله، وملك بعده ولبلبن هذا خبر ظريف نذكره» . (المرجع نفسه)

#### السلطان غياث الدين بلبن

ومنهم أيضا السلطان غياث الدين بلبن: «وضبط اسمه بباءين موحدتين بينهما لام والجميع مفتوحات وآخرها نون، ولما قتل بلبن مولاه السلطان ناصر الدين استقل بالملك بعده عشرين سنة، وقد كان قبلها نائبا له عشرين سنة أخرى وكان من خيار السلاطين، عادلا حليما فاضلا. ومن مكارمه أنه بنى دارا، وسماها دار الأمن فمن دخلها من أهل الديون قضي دينه ومن دخلها أمن، ومن دخلها وقد قتل أحدا أرضى عنه أولياء المقتول، ومن دخلها من ذوي الجنايات أرضى أيضا من يطلبه. وبتلك الدار دفن لما مات. وقد زرت قبره» . (المرجع السابق: 436)

# السلطان معز الدين بن ناصر

ومن هؤلاء السلاطين معز الدين الذي كان ولايته ولاية العهد فيما قال ابن بطوطة: «ولما توفي السلطان غياث الدين ليلا، وابنه ناصر الدين غائب ببلاده اللكنوتي، وجعل العهد لابن ابنه الشهيد كي خسرو، حسبما قصصناه، كان ملك الأمراء نائب السلطان غياث الدين عدوا لكي خسرو فأراد عليه حيلة تمت، وهي أنه كتب بيعة دلس فيها على خطوط الأمراء الكبار بأنهم بايعوا السلطان معز الدين حفيد السلطان بلبن ودخل على كي خسرو كالمتنصح له فقال له: إن الأمراء قد بايعوا ابن عمك، وأخاف عليك منهم. واستقام الملك لمعز الدين أربعة أعوام بعد ذلك وكانت كالأعياد. رأيت بعض من أدركها يصف خيراتها ورخص أسعراها، وجود معز الدين وكرمه وهو الذي بني الصومعة بالصحن الشمالي من جامع دهلي ولا نظير لها في البلاد. وحكى لي بعض أهل الهند أن معز الدين كان يكثر النكاح والشرب، فاعتلته علة أعجز الأطباء دواؤها، ويبس أحد شقيه فقام عليه نائبه جلال الدين فيروزشاة الخلجي بفتح الخاء المعجم واللام والجيم». (المرجع السابق: 438)

#### السلطان جلال الدين

أن ولاية السلطان جلال الدين كان بعد خلافه بمعز الدين وقتله حيث قيل: « ولما اعترى السلطان معز الدين ما ذكرناه من يبس أحد شقيه خالف عليه نائبه جلال الدين وخرج إلى ظاهر المدينة فوقف على تل هنالك بجانب قبة تعرف بقبة الجيشاني. فبعث معز الدين الأمراء لقتاله، فكان كل من يبعثه منهم يبايع جلال الدين ويدخل في جملته ثم دخل المدينة وحصره في القصر ثلاثة أيام. وحدثني من شاهد ذلك أن السلطان معز الدين أصابه الجوع في تلك الأيام، فلم يجد ما يأكله، فبعث إليه أحد الشرفاء من جيرانه ما أقام أوده، ودخل عليه القصر فقتل، وولي بعده جلال الدين وكان حليما فاضلا، وحلمه أداه إلى القتل، كما سنذكره واستقام له الملك سنين وبنى القصر المعروف باسمه » . (المرجع السابق: 439)

#### السلطان علاء الدين محمد شاه الخلجي

ولما فر ركن الدين إلى السند قال صاحب الرحلة: « دخل علاء الدين دار الملك بعده، واستقام له الأمر عشرين سنة. وكان من خيار السلاطين وأهل الهند يثنون عليه كثيرا، وكان يتفقد أمور الرعية بنفسه، ويسأل عن أسعارهم، ويحضر المحتسب وهم يسمونه الرئيس في كل يوم برسم ذلك. وكان لا يركب لجمعة ولا لعيد ولا سواهما وسبب ذلك إنه كان له ابن أخ يسمى سليمان شاه وكان يحبه ويعظمه. وكان له من الأولاد خضر خان وشادي خان وأبو بكر خان ومبارك خان، وهو قطب الدين الذي ولي الملك، وشهاب الدين. وكان قطب الدين مهتضما عنده ناقص الحظ قليل الحظوة وأعطى جميع إخوته المراتب، وهي الأعلام والأطبال». (المرجع السابق: 441)

#### السلطان شهاب الدين

تولى السلطان شهاب الدين كرسي الملك بعد سياسة قوية التي تمت عدة أحوال كالقتل والأسر والغلبة بالقوة والسياسة المخوفة حيث جاء في الرحلة: «ولما توفي السلطان علاء الدين اقعد ملك نائب ابنه الأصغر شهاب الدين على سرير الملك، وبايعه الناس، وتغلب ملك نائب عليه». (المرجع السابق: 443)

# السلطان قطب الدين ابن السلطان علاء الدين

هذا السلطان له تصرفات جبارة وتقارير منتقمة وسياسة متفاوتة التي لا تدق أم تجل حيلة قرب ملك إلا وهو ينفذها قبل التنفس. فصاحب الرحلة يحكي عنه بقوله: «وخلع قطب الدين أخاه شهاب الدين وقطع إصبعه، وبعث به إلى كاليور فحبس مع إخوته. واستقام الملك لقطب الدين. ثم إنه بعد ذلك خرج من حضرة دهلي إلى دولة أباد، وهي على مسيرة أربعين يوما منها. والطريق بينهما تكنفه الأشجار من الصفصاف وسواه. فكأن الماشي به في بستان. وفي كل ميل منه ثلاث داوات، وهي البريد وقد ذكرنا ترتيبه، وفي كل داوة جميع ما يحتاج المسافر إليه. فكأنه يمشي في سوق مسيرة الأربعين يوما. وكذلك يتصل الطريق إلى بلاد التلنك. والمعبر مسيرة ستة أشهر. وفي كل منزلة قصر للسلطان وزاوية للوارد والصادر، فلا يفتقر الفقير إلى حمل زاد في ذلك الطريق». فكما قبل أنه كما تدين تدان لقد وجد حظه بالمقابل أشار ابن بطوطة إلى ذلك قائلا: «ولما خرج السلطان قطب الدين في هذه الحركة اتفق بعض الأمراء على الخلاف عليه وتولية ولد أخيه خضر خان المسجون، وسنه نحو عشرة أعوام، وكان مع السلطان. فبلغ السلطان ذلك، فأخذ ابن أخيه المذكور وأمسك برجليه، وضرب برأسه إلى الحجارة حتى نثر دماغه وبعث أحد الأمراء ويسمى ملك شاه إلى كاليور حيث أبو هذا الولد وأعمامه وأمره بقتلهم جميعا. ولما قتل قطب الدين إخوته واستقل بالملك، ولم يبق من ينازعه ولا من يخالف عليه بعث الله تعالى عليه من خاصته، الحظي لديه أكبر أمرائه وأعظمهم منزلة عنده ناصر الدين خسرو خان ففتك به وقتله واستقل بملكه، إلا أن مدته لم تطل بالملك، فبعث الله تعالى عليه من قتله بعد خلعه السلطان تعلق، حسبما يشرح كله مستوفى إن شاء الله تعالى إثر هذا ونسطره». (المرجع السابق: 444)

# السلطان خسروخان ناصر الدين

ومن سلاطين الهند السلطان خسروخان وهو أمير من سلالة قطب الدين وصاحب السياسة المكارة والنظام القويم ملاحظة عندما قال ابن بطوطة: «وكان خسروخان من أكبر أمراء قطب الدين، وهو شجاع حسن الصورة، وكان فتح بلاد جنديري وبلاد المعبر، وهي من أخصب بلاد الهند. وكان قطب الدين يحبه حبا شديدا ويؤثره، فجر ذلك حتفه على يديه. وكان لقطب الدين معلم يسمى قاضي خان صدر الجهان، وهو أكبر أمرائه، وصاحب مفاتيح القصر. وعادته أن يبيت كل ليلة على باب السلطان ومعه أهل النوبة، وهم ألف رجل يبيتون مناوبة بين أربع ليال، ويكونون صفين فيما بين أبواب القصر، وسلاح كل واحد منهم بين يديه، فلا يدخل أحد إلا فيما بين سماطيهم. وإذا تم الليل أتى أهل نوبة النهار. ولأهل النوبة أمراء وكتاب يتطوفون عليهم ويكتبون من غاب منهم أو حضر. وكان معلم السلطان قاضي خان يكره أفعال خسرو خان، ويسوءه ما يراه من إيثاره لكفار الهنود وميله إليهم، وأصله منهم. ولا يزال يلقي ذلك إلى السلطان فلا يسمع منه ويقول له دعه وما يريد، لما أراد الله من قتله على يده». ويزيد الرحالة توضيحا لحاله وعاقبة أمره متابعا: «فلما كان في بعض الأيام قال خسرو خان للسلطان: إن جماعة من الهنود يريدون أن يسلموا. ومن عادتهم أمره متابعا: «فلما كان في بعض الأيام قال خسرو خان السلطان فيكسوه كسوة حسنة ويعطيه قلادة أو أساور من ذهب على قدره. ولما ملك خسرو خان أثر الهنود، وأظهر أمورا منكرة، منها النهي عن ذبح البقر على قاعدة كفار الهنود، فإنهم لا يجيزون ذبحها، وجزاء من ذبحها عندهم أن يخاط في جلدها ويحرق. وهم يعظمون البقر ويشريون أبوالها للبركة، وللاستشفاء إذا مرضوا. ويلطخون بيوتهم وحيطانهم بأرواثها. وكان ذلك مما بغض خسرو خان إلى المسلمين وأمالهم عنه إلى تغلق، فلم تطل مدة ولايته ولا امتدت أيام ملكه» .(المرجع السابق: 445)

#### السلطان غياث الدين تغلق شاه

وهو أيضا من سلالة السلطان خسروخان، ومتولى بعده كما جاء في الرحلة: «أن السلطان تغلق كان من الأتراك المعروفين بالقرونة، وكان ضعيف الحال. لما قتل قطب الدين وولي خسرو خان أبقاه الله على إمارة الخيل. فلما أراد تغلق الخلاف كان له ثلاثمائة من أصحابه الذين يعتمد عليهم في القتال، وحينئذ أظهر تغلق الخلاف، وجمع العساكر وخرج معه كشلو خان في أصحابه، وبعث السلطان أخاه خان خانان لقتالهما، فهزماه شر هزيمة، وفر عسكره إليهما، ورجع خان خانان إلى أخيه، وقتل أصحابه، وأخذت خزائنه وأمواله وقصد تغلق حضرة دهلي». ثم واصل في وصف بقوله: «وأما بالهند والصين فلا يفارق السلطان في سفر ولا حضر. فلما قصده تغلق وأصحابه حمي القتال بينهم وبين الهنود. وانهزم أصحاب السلطان ولم يبق معه أحد، وهرب فنزل عن فرسه ورمى بثيابه وسلاحه، وبقي في قميص واحد، وأرسل شعره بين كتفيه كما يفعل فقراء الهند، ودخل بستانا هنالك. واجتمع الناس على تغلق، وقصد المدينة، فأتاه وأرسل شعره بين كتفيه كما يفعل فقراء الهند، ودخل بستانا هنالك. واجتمع الناس على تغلق، وقصد المدينة، فأتاه الكتوال بالمفاتيح، ودخل القصر ونزل بناحية منه وقال لكشلو خان: أنت تكون السلطان. فقال كشلو خان: بل أنت

تكون السلطان. وتنازعا، فقال له كشلو خان: فإن أبيت أن تكون سلطانا فيتولى ولدك. فكره هذا، وقبل حينئذ، وقعد على سرير الملك وبايعه الخاص والعام. واستقام الملك لتغلق أربعة أعوام. وكان عادلا فاضلا». (المرجع السابق: 447) السلطان أبي المجاهد محمد شاه ابن السلطان غياث الدين تغلق شاه

إن للسلطان أبي المجاهد وصف واسع ومتنوع لكثير من الجوانب السياسية لقانون سلطنته كأبوابه ومشوره وترتيب ذلك، وترتيب جلوسه، ودخول الغرباء وأصحاب الهدايا إليه، ودخول هدايا عماله إليه، وذكر خروجه للعيدين وما يتصل بذلك، وترتيبه إذا قدم من سفره ثم ترتيب طعامي: الخاص والعام. سنقتفي بذكر وصف السلطان أبي المجاهد محمد شاه بن الغياث الدين تغلق شاه ملك الهند والسند الذي قال عنه صاحب الرحلة: «ولما مات السلطان تغلق استولى ابنه محمد على الملك من غير منازع له ولا مخالف عليه. وقد قدمنا أنه كان اسمه جونه. وهو ملك تسمى بمحمد، ويكنى بأبي المجاهد. هذا الملك أحب الناس في إسداد العطايا وإراقة الدماء. فلا يخلو بابه عن فقير يغنى أو حي يقتل. وقد اشهرت في الناس حكاياته في الكرم والشجاعة، وحكاياته في الفتك والبطش بذوي الجنايات. وهو أشد الناس مع ذلك تواضعا وأكثرهم إظهارا للعدل والحق. وشعائر الدين عنده محفوظة. وله اشتداد في أمر لصلاة والعقوبة على تركها. وهو من الملوك الذين اطردت سعادتهم، وخرق المعتاد يمن نقيبتهم. ولكن الأغلب عليه الكرم. (المرجع السابق: 452)

#### الصين

#### أمير علابور

انتقل الوصف من بلاد الهند إلى بلاد الصين مبتدئا بأشهر أمراءها وأشجعهم الأمير علابور حيث ذكر ابن بطوطة: «كان أمير علابور بدر الحبشي من عبيد السلطان، وهو من الأبطال الذين تضرب بهم الأمثال، وكان لا يزال يغير على الكفار منفردا بنفسه، فيقتل ويسبي، حتى شاع خبره واشتهر أمره وهابه الكفار. وكان طويلا ضخما يأكل الشاة عن آخرها في أكلة. وأنه كان يشرب نحو رطل ونصف من السمن بعد غذائه على عادة الحبشة ببلادهم، وكان له ابن يدانيه في الشجاعة. فاتفق أنه أغار مرة في جماعة من عبيده على قرية للكفار فوقع به الفرس في مطمورة، واجتمع عليه أهل القرية فضريه أحدهم بقتارة حديدة شبه سكة الحرث، يدخل الرجل يده فيها فتكسو ذراعه ويفضل منها مقدار ألقرية فضريه التبقي، فقتله بتلك الضرية ومات فيها. وقاتل عبيده أشد القتال، فتغلبوا على القرية وقتلوا رجالها وسبوا نساءها وأخرجوا الفرس من المطمورة سالما، فأتوا به ولده. فكان من الاتفاق الغريب أنه ركب الفرس وتوجه إلى دهلي، فخرج عليه الكفار، فقاتلهم حتى قتل، وعاد الفرس إلى أصحابه، فدفعوه إلى أهله، فركبه صهر له، فقتله الكفار عليه أيضا». (المرجع السابق: 552)

#### سلطان قندهار

فكما كان جل السلاطين والأمراء مسلمين فيما أخبر عنهم ابن بطوطة قد كان أيضا لغيرهم حظا واسعا ومكانا مرموقا في سجل الرحالة كسلطان قندهار الذي قال عنه: «هو كافر اسمه جالنسي، وهو تحت حكم الإسلام، ويعطي لملك الهند هدية كل عام. لما وصلنا إلى قندهار خرج إلى استقبالنا، وعظمنا أشد التعظيم، وخرج عن قصره فأنزلنا به. وجاء إلينا من عنده من كبار المسلمين كأولاد خواجه بهره. ومنهم الناخوذة إبراهيم، له ستة من المراكب مختصة له». (المرجع السابق: 563)

#### سلطان قوقة

إن هذا السلطان كافر أيضا يسمى دنكول بضم الدال المهمل وسكون النون وضم الكاف وواو ولام وكان: «يظهر الطاعة لملك الهند، وهو في الحقيقة عاص. ولما أقلعنا عن هذه المدينة ووصلنا بعد ثلاثة أيام إلى جزيرة سندابور وضبط اسمها بفتح السين المهمل وسكون النون وفتح الدال المهمل والف وباء موحدة وواو مد وراء ، وهي جزيرة في وسطها ست وثلاثون قرية، ويدور بها خور، وإذا كان الجزر فماؤها عذب طيب، وإذا كان المد فهو ملح أجاج. وفي وسطها مدينتان: إحداهما قديمة من بناء الكفار، والثانية بناها المسلمون عند استفتاحهم لهذه الجزيرة الفتح الأول». (المرجع السابق: 564)

#### سلطان هنور

ومنهم سلطان هنور الذي تحدث الرحالة في وصفه قائلا: «وهو السلطان جمال الدين محمد بن حسن، من خيار السلاطين وكبارهم وهو تحت حكم سلطان كافر يسمى هريب، سنذكره. والسلطان جمال الدين مواظب للصلاة في المجماعة. وعادته أن يأتي إلى المسجد قبل الصبح، فيتلو في المصحف حتى يطلع الفجر، فيصلي أول وقت، ثم يركب إلى خارج المدينة. ويأتي عند الضحى فيبدأ بالمسجد، فيركع فيه ثم يدخل فيه، ثم يدخل إلى قصره. وهو يصوم الأيام البيض وكان أيام إقامتي عنده يدعوني للإفطار معه فأحضر لذلك، ويحضر الفقيه على والفقيه إسماعيل. فتوضع أربع كراسي صغار على الأرض. فيقعد على إحداها، وبقعد كل واحد منا على كرسي» .(المرجع السابق: 567)

#### سلطان فاكنور

إن سلطان فنكور من أظلم سلاطين الذي ذكر في رحلة ابن بطوطة وهو من سلاطين الصين حيث عرض ذكره: «وسلطان فاكنور كافر اسمه باسدو بفتح الباء الموحد والسين المهمل والدال المهمل وسكون الواو، وله نحو ثلاثين مركبا حربيا قائدها مسلم يسمى لولا، وكان من المفسدين يقطع بالبحر ويسلب التجار. ولما أرسينا على فاكنور، وبعث سلطانها إلينا ولده، فأقام بالمركب كالرهينة، ونزلنا إليه. فأضافنا ثلاثا بأحسن ضيافة تعظيما لسلطان الهند، وقياما بحقه رغبة فيما يستفيده في التجارة مع أهل مراكبنا. ومن عادتهم هنالك أن كل مركب يمر ببلد فلا بد من إرسائه بها، وإعطائه هدية إلى صاحب البلد، يسمونها حق البندر. ومن لم يفعل ذلك خرجوا في اتباعه بمراكبهم، وأدخلوه المرسى قهرا، وضاعفوا عليه المغرم، ومنعوه عن السفر ما شاءوا». (المرجع السابق: 571)

#### سلطان منجرور

ومن أكابر سلاطين الصين سلطان منجرور الذي شهر ذكره ببلاد الصين وحاز من مكارم الأخلاق وبلغ أعلى درجة الملك وبذل العدالة حيث عرض عنه ابن بطوطة في رحلته قائلا: «وهو أكبر سلاطين تلك البلاد واسمه رام دو بفتح الراء والميم والدال المهمل وسكون الواو، وبها نحو أربعة آلاف من المسلمين، يسكنون ربضا بناحية المدينة. ربما وقعت الحرب بينهم وبين أهل المدينة، فيصلح بينهم لحاجته إلى التجار. وبها قاض من الفضلاء الكرماء شافعي المذهب الحرب بينهم وبين أهل المدين، وهو يقرئ العلم. صعد إلينا، إلى المركب، ورغب منا في النزول إلى بلده، فقلنا حتى يبعث ولده يقيم بالمركب. فقال: إنما يفعل ذلك سلطان فاكنور، لأنه لا قوة للمسلمين في بلده. وأما نحن فالسلطان يخافنا. فأبينا عليه إلى أن بعث السلطان ولده، كما فعل الآخر، ونزلنا إليهم. فأكرمونا إكراما عظيما». (المرجع السابق: 572) سلطان كبيل

وهو يسمى بكويل بضم الكاف على لفظ التصغير ، وذكر ابن بطوطة أنه: «من أكبر سلاطين المليبار. وله مراكب كثيرة تسافر إلى عمان وفارس واليمن. ومن بلاده فتن وبدفتن، وسنذكرهما. وسرنا من جرفتن إلى مدينة ده فن بفتح الدال المهمل وسكون الهاء. وذكر أن والد هذا السلطان كويل هو الذي عمر هذا الباين. وبإزائه مسجد جامع للمسلمين، وله أدراج ينزل منها إليه فيتوضأ منه الناس ويغتسلون. وحدثني الفقيه حسين أن الذي عمر المسجد والباين أيضا هو أحد أجداد كويل، وأنه كان مسلما». (المرجع السابق: 573)

# سلطان قالقوط

وسلطانها كافر يعرف بالسامري، وأشار ابن بطوطة في رحلته موصفا بأنه: «شيخ مسن يحلق لحيته، كما تفعل طائفة الروم، رأيته بها. وأمير التجار بها إبراهيم شاه بندر من أهل البحرين فاضل ذو مكارم، يجتمع إليه التجار، ويأكلون في سماطه .وقاضيها فخر الدين عثمان فاضل كريم، وصاحب الزاوية بها الشيخ شهاب الدين الكازروني، وله تعطى النذور التي ينذر بها أهل الهند والصين للشيخ أبي إسحاق الكازروني نفع الله به. (المرجع السابق: 575)

#### سلطان كولم

ومن بين سلاطين الكفار بأرض الصين سلطان كولم الذي تميز بالصفات المحمودة وإكرام المسلمين وصيانتهم في نفوسهم وأموالهم وأعراضهم رغم أنه ليس متمسكا بدين الحنيف كما قال صاحب الرحلة: «وهو كافر يعرف بالتيروري بكسر التاء المعلوة وياء مد وراء وواو مفتوحين وراء مكسورة وياء وهو معظم للمسلمين. وله أحكام شديدة على السراق والدعار». (المرجع السابق: 579)

#### سلطانة هذه الجزائر

ومما عرض ابن بطوطة في رحلته سلطانتان بالهند والصين، وأما التي في الصين فهي عجيبة الشأن ويقول الرحالة عن وصفها: «ومن عجائبها أن سلطانتها امرأة، وهي خديجة بنت السلطان جلال الدين عمر ابن السلطان صلاح الدين صالح البنجالي. وكان الملك لجدها ثم لأبيها، فلما مات أبوها ولي أخوها شهاب الدين، وهو صغير السن. فتزوج الوزير عبد الله ابن محمد الحضري أمه، وغلب عليه، وهو الذي تزوج أيضا هذه السلطانة خديجة بعد وفاة زوجها الوزير جمال الدين. فلما بلغ شهاب الدين مبلغ الرجال، أخرج ربيبه الوزير عبد الله، ونفاه إلى جزائر السويد. واستقل بالملك، واستوزر أحد مواليه، ويسمى علي كلكي، ثم عزله بعد ثلاثة أعوام، ونفاه إلى السويد». وكانت السلطانة: «متزوجة لخطيبهم جمال الدين، فصار وزيرا وغالبا على الأمر، وقدم ولده محمدا للخطابة عوضا منه. ولكن الأوامر إنما تنفذ باسم خديجة. وهم يكتبون الأوامر في سعف النخل بحديدة معوجة شبه السكين. ولا يكتبون في الكاغد إلا المصاحف وكتب العلم، ويذكرها الخطيب يوم الجمعة، وغيرها. ومن عادتهم إذا قدم الغريب عليهم، ومضى إلى المشور، وهم يسمونه الدار، فلا بد له أن يستصحب ثوبين، فيخدم لجهة هذه السلطانة، ويرمي بأحدهما، ثم يخدم لوزيرها، وهو يسمونه الدار، فلا بد له أن يستصحب ثوبين، فيخدم لجهة هذه السلطانة، وبرمي بأحدهما، ثم يخدم لوزيرها، وهو فيخدمون وينصرفون. ويأتون كل يوم إلى الدار، في عدمون وينصرفون. ومرتبهم الأرز يعطاهم من البندر في كل شهر، فإذا تم الشهر أتوا الدار، وخدموا، وقالوا للوزير: فيخدمون وينصرفون. ومرتبهم الأرز يعطاهم من البندر في كل شهر، فإذا تم الشهر أتوا الدار، وخدموا، وقالوا للوزير:

بلغ عنا الخدمة، واعلم بأنا أتينا بطلب مرتبنا. فيؤمر لهم به عند ذلك. ويأتي أيضا إلى الدار كل يوم القاضي وأرباب الخطط، وهم الوزراء عندهم، فيخدمون، ويبلغ خدمتهم الفتيان، وينصرفون ».(المرجع السابق: 591)

و ذكر ابن بطوطة مظهر السياسي لسلطنة خديجة الكبرى في وصف أرياب الخطط وسيرهم قائلا: «وهم يسمون الوزير الأكبر النائب عن السلطانة كلكي بفتح الكاف الأولى واللام، ويسمون القاضي فندريار قالوا وضبط ذلك بفاء مفتوح ونون مسكن ودال مهمل مفتوح وياء آخر الحروف والف وراء وقاف والف ولام مضموم، وأحكامهم كلها راجعة إلى القاضي، وهو أعظم عندهم من الناس أجمعين، وأمره كأمر السلطان وأشد، ويجلس على بساط في الدار. وله ثلاث جزائر، يأخذ مجباها لنفسه. ويسمون صاحب الديوان الفاملداري بفتح الفاء والميم والدال المهمل، واسم صاحب الأشغال مافاكلو بفتح الميم والكاف وضم اللام، واسم الحاكم فتنايك بكسر الفاء وسكون التاء المعلوة وفتح النون والف وياء آخر الحروف مفتوحة أيضا وكاف، واسم قائد البحر مانايك بفتح الميم والنون والياء. وكل من هؤلاء يسمى وزيرا. ولا سجن عندهم بتلك الجزائر، إنما يحبس أرباب الجرائم في بيوت خشب، هي معدة لأمتعة التجار، ويجعل أحدهم في خشبة، كما يفعل عندنا بأسارى الروم. (المرجع السابق: 592)

تكاثر الوصف السياسي وأحوال السلاطين في تلك الرحلة ككثرة النجوم في سماءها والثلوج على أخشاشها والرمال في عرساتها والأمواج في بحارها حيث يزداد الذكر على ما سبق عن سلطان سيلان أيري شكروتي وسلطان كنكار الكناري وسلطان بلاد المعبر غياث الدين الدمغاني وسلطان بنجال وسلطان جاوة وسلطان مل جاوة وأمير الكبير قرطي أمير أمراء الصين.

#### خاتمة

أخيرا، قد وصل الباحث إلى نهاية بحثه عن رحلة ابن بطوطة عامة، وقصص السلاطين والأمراء خاصة، حيث تناول فيه أدب الرحلات مع ذكر خصائصه، ثم الوصف في رحلة ابن بطوطة. وظهر أنّ الرّحلات من أهم الفنون الأدبية بحيث إنّها تحوي بعض المعلومات المهمة التي لا يمكن الاستغناء عنها لأحد من الأدباء والمؤرخين والجغرافين وغيرهم، فمطالعتها لازمة لكل من يودّ الكتابة أو الدراسة عن إحدى الفترات التي كتبت فيها تلك الرّحلات. فإن أدب الرحلات العربية يمثل جوانب مهمة من جوانب الحياة العربية والإسلامية في مختلف نواحيها سواء في ذلك الجانب السياسي والاجتماعي والديني والفكري وأيضا الأدبي، وقد برز كثير من الرحالة العرب وقاموا برحلات طويلة وألفوا كثيرا من الكتب صوروا فيها ما شاهدوه في هذه الرحلات وصوروا مشاعرهم وآراءهم وكانت هذه الكتب وثائق هامة تصور الحياة في تلك الأزمان. بدأت الرحلة من حيث أسلوبها في قالب سردي أقرب إلى التقرير في معظم الفقرات، نحا نحو الدقة العلمية خصوصاً في ثبت الأسماء والمناسبات، وبأسلوب أدبي يظل في بعض الفقرات كوصفه لبعض المدن بأناقتها وجمالها. وتبقى هذه الرحلة شاهداً حيّاً عن أوضاع مختلفة، وعن طبيعة العلاقات بين أبناء الأمة العربية، وفي مقدمتهم علماؤها، بتوددهم وتآزرهم وشغفهم العلمي وتنافسهم الشريف فيه. وإن انطلقت رحلة " حج " لكن فسحت المجال بعدها للحديث عن صلات إنسانية حميمية عميقة في التواصل والمودة والمحبة. ومن خلالها أيضاً ظلت صورة مشرقة للإنسان، والمدن العربية ذات الروعة والأناقة بمعالمها الثقافية والحضارية وجمالها الساحر وطبيعتها الزاهية. وما يمكننا قوله أن مخطوط "رحلة ابن بطوطة: تحفة النظار لغرائب الأمصار وعجائب الأسفار" لمؤلفه ابن بطوطة، من أهم المصادر الجغرافية والتاريخية والاجتماعية؛ لأن الكاتب يستقى معلوماته وحقائقه من مشاهد حية، وتصوير مباشر، ما يجعل قراءته مفيدة وممتعة ومسلية في الوقت نفسه. خصوصا وأن المخطوط يحكي عن لقاءه السلاطين والأمراء الذين تشرف بإكرامهم وحاز بمصاحبتهم، وذلك في جولته حول بقاء الأرض بأكملها من الصين والهند وبلاد الشام وحتى غرب إفريقيا طوال رحلته. فهي بذلك تعد حلقة امتداد لما قبلها في مجال العلم والمعرفة الدينية. ولا يخفي رحلة ابن بطوطة من دور في توسعة أفق الإنسان ومعارفه، حيث يقول أحد الكتاب الفرنسيين في القرن الثامن عشر: إن الرحلات تشكل أكثر المدارس تثقيفًا للإنسان.

بعد ما تناول الباحث كتاب رحلة ابن بطوطة بالدراسة طولا وعرضا بدقة الملاحظة في قرض أصوله وبانتباه نير في مداولة فروعه، وباجتهاد فائق للوصول إلى أسراره وحقائقه، تحصل الباحث ختاما على نتائج هامة وعديدة منها:

- يحاول ابن بطوطة في كتابه هذا إعطاء صورة واضحة للواقع الاجتماعي والجغرافي وأهم المشاهد التي حاول تصويرها، كما حوى الكتاب بين دفتيه طائفة هامة من المعلومات التاريخية وبعض النبذ الشعرية والأدبية؛ وذكر لأهم العروض عن بعض المناظرات والمباحثات التي كانت بينه وبين الشخصيات البارزة الذين مر بهم أثناء رحلته وخصوصا السلاطين والأمراء؛
- يعد مخطوط "رحلة ابن بطوطة" وثيقة تاريخية هامة، تصور مجتمع العالم خلال القرون السابقة، وتعطي التصور العام الذي كان عليه حضارات تلك الفترة. ولذا لا يمكننا الاستغناء عنه؛ فهو بذلك جزء من ذاكرتنا التاريخية؛

- يقدم الرحالة جانبا من سيرته ذاتية وذلك من خلال سرد كل ما يتعلق به في رحلته كما يقدم بعض الأحيان أخبار نادرة
  عن الأدباء والكتاب. والرحالة يلجأ بعض الأحيان إلى طابع السخرية والفكاهة، وقد يصبح هذا الأسلوب الخفيف المرح الساخر علاجا للحزن والألم النفسى؛
- يعتبر أدب الرحلة فنا خدم الأنواع المختلفة من الأدب على مر الزمان وحفظ المعلومات القيمة من أن تضيع فأهميتها واضحة جلية للإنسان الذي طبع على حب المعرفة والاستطلاع والتعرف على مظاهر الحياة المختلفة. وفي السفر والرحلة فوائد جمة مالا تعد ولا تحصى؛
- يضم قصص السلاطين والأمراء في رحلة ابن بطوطة خصائص مفيدة، وفنيات متنوعة ومزايا متعددة مما جعل ابن بطوطة ينزلهم مرتبة عليا عنده حيث نجده يسرد قصتهم بكل كرامة في وصف بلاطهم بكل تفاصيله، وكرمهم وروعهم وبطشهم...

وإلى هنا، قد وصل الباحث إلى نهاية عمله. وقد استفاد كثيرا في تناوله شخصية علامة الذي يعد ركن من أركان العلم والمعرفة في العالم العربي والإسلامي، ألا وهو الرحالة ابن بطوطة. وكذلك بدراسته كتاب رحلة ابن بطوطة الذي يعد مصدرا أساسيا في مجال أدب الرحلات، ومرجعا لا يستغنى عنه في مجال العلوم الأخرى.

#### قائمة المصادر والمراجع

# القرآن الكريم

ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد بن عبد الله، رحلة ابن بطوطة: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ط1، دار إحياء العلوم، بيروت، 1987م

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين بن مكرم: لسان العرب، طبعة جديدة، جدار الكتب العلمية، لبنان – بيروت، 1430هـ/2009م

إميل يعقوب وبسام بركة ومي شيخاني قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية: عربي-إنكَليزي-فرنسي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى 1997م

إنجيل بطرس: الرحلات في الأدب الإنجليزي، مجلة الهلال، العدد 7، السنة 83، يوليو 1975م.

انظر لسان العرب، لابن منظور محمد بن مكرم، دار صادر- بيروت، ط1414/3ه

جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية، 1984م

د. شعيب حليفي ، الرحلة في الأدب العربي : التجنس ، آليات الكتابة ، خطاب المتخيل ، سلسلة كتابات نقدية ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، 2002م

د. شعيب حليفي ، الرحلة في الأدب العربي، دار القروبين، الدار البيضاء، الطبعة الثانية 2003م

د. غنيمي هلال، محمد: النقد الأدبي الحديث، دار العودة، بيروت، 1987م

الرافعي، مصطفى صادق: تاريخ آداب العرب، الطبعة الثانية دار الكتاب العربي بيروت-لبنان، الجزء الثالث، (1394هـ-1974م)

الزبيدي، مرتضى: تاج العروس، نشر بنغازي، لاتا، 1965م، ص432

الشافعي، محمد بن إدريس: ديوان الإمام الشافعي، جمعه وحققه: إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي- بيروت، ط 3، 1966م

عزيزة، مريدن: القصة والرواية، دار الفكر، بيروت، 1980م

قناوي، عبدالعظيم: الوصف في الشعر العربي، مكتبة مصطفى الحلبي، الطبعة الأولى، 1368هـ- 1929م.

مجدى وهبة، معجم مصطلحات الأدب، مكتبة لبنان، بيروت، 1974م

محمد يوسف نجم، القصة في الأدب العربي الحديث، دار الثقافة، بيروت، د ت

الموافي، ناصر عبد الرزاق: الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، الطبعة الأولى، دار النشر للجامعات المصرية، مكتبة الوفاء، مصر، 1415هـ/1995م.

نبيلة إبراهيم: فن القصص في النظرية والتطبيق، دار القباء للطباعة، مصر، دت

الهاشمي، أحمد: جواهر الأدب في أدبيات والإنشاء لغة العرب، الطبعة الثالثة عشرة مطبعة المقتطف والمقطم، مصر، 1341هـ- 1923م

# الهوامش

- 1. معجم مقاييس اللغة، مادة: رحل.
  - 2. لسان العرب، مادة: رحل.
  - 3. القاموس المحيط، مادة: رحل.
    - 4. سورة قريش، الآية: 1.
- 5. جزء من شطر بيت لابن دراج القسطلي:
- ألم تعلمي أن الثواء هو الثوى وأن بيوت العاجزين قبور
- 6 السرد في اللغة : تَقْدِمَةُ شيء إلى شيء تَأْتي به متَّسقاً بعضُه في أَثر بعض متتابعاً . سَرَد الحديث ونحوه يَسْرُدُه سَرُداً إِذا تابعه. وفلان يَسْرُد الحديث سرداً إِذا كان جَيِّد السياق له. والسَّرَد: المُتتابع. 7 انظر لسان العرب، لابن منظور محمد بن مكرم، دار صادر- بيروت، ط1414/3ه مادة وصف